سورة غافر-بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾
كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ
وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ
عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ
وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا
فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾

سورة غافر-بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ)

يخبر تعالى عن كتابه العظيم و بأنه صادر و منزل من الله، المألوه المعبود، لكماله و انفراده بأفعاله،

(ٱلۡعَزِيزِ)الذي قهر بعزته كل مخلوق(ٱلۡعَلِيمِ)بكل شيء 2

(غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ) للمذنبين

(وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ)من التائبين،(شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ)على من تجرأ على الذنوب و لم يتب منها،

(ذِي ٱلطَّوۡلِۖ)التفضل و الإحسان الشامل

(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ)لَا نَظِيرَ لَهُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَ لَا رَبَّ سِوَاهُ (إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ)الْمَرْجِعُ 3

(مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ)يخبر تبارك و تعالى أنه ما يجادل في آياته

(إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)و المـــــراد بالمجـــــادلة هنـــــا:-

المجـــــــــادلة لرد آيات الله و مقابلتهـــــــا بالباطل، فهذا من صنيع الكفار،

(فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ)فِي أَمْوَالِهِمْ وَ نَعِيمِهَا وَ زَهْرَتِهَا-ترددهم فيها بأنواع التجارات و المكاسب،

و يزن بها الناس،و لا يزن الحق بالناس، كما عليه من لا علم و لا عقل له. 4

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ)وَ هُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثه اللَّهُ يَنْهَى عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ،

(وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ)من كل أمة ثم هدد من جادل بآيات الله ليبطلها،

(و) أنه بلغت بهم الحال، و آل بهم التحزب إلى أنه(وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ)من الأمم(بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ)
يقتلـــوه حَرَصُوا عَلَى قَتْلِهِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ رَسُولَهُ

(وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ)مَاحَلُوا بِالشُّبْهَةِ (لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)لِيَرُدُّوا الْحَقَّ الْوَاضِحَ الْجَلِيَّ.

❍و لهذا قال في عقوبتهم الدنيوية و الأخروية:–

(فَأَخَذْتُهُمْ)أَهْلَكْتُهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا مِنْ هَذِهِ الْآثَامِ وَ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ أي: بسبب تكذيبهم و تحزبهم

(فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ)فكيف كان عقابي إياهم عبرة للخلق و عظة لمن يأتي بعدهم؟

❍كان أشد العقاب و أفظعه،ما هو إلا صيحة أو حاصب ينزل عليهم أو يأمر الأرض أن تأخذهم،

أو البحر أن يغرقهم فإذا هم خامدون 5

(وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا)

كما حقت على أولئك،حقت عليهم كلمة الضلال التي نشأت عنها كلمة العذاب

و لهذا قال: (أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)
كَمَا حَقَّتْ كلمةُ الْعَذَابِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِكَذَلِكَ حَقَّتْ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
كَذَّبُوكَ وَ خَالَفُوكَ يَا مُحَمَّدُ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى 6

(الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ)عرش الرحمن،الذي هو سقف المخلوقات و أعظمها و أوسعها و أحسنها و أقربها من الله

(وَمَنْ حَوْلَهُ) من الملائكة المقربين في المنزلة و الفضيلة(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)
يَقْرِنُونَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ الدَّالِّ عَلَى نَفْيِ النَّقَائِصِ،وَ التَّحْمِيدِ الْمُقْتَضِي لِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْمَدْحِ
❍هذا مدح لهم بكثرة عبادتهم للّه تعالى، و خصوصًا التسبيح و التحميد،و سائر العبادات تدخل في تسبيح
الله و تحميده،لأنها تنزيه له عن كون العبد يصرفها لغيره،و حمد له تعالى، بل الحمد هو العبادة للّه تعالى،

(وَيُؤْمِنُونَ بِهِ)خَاشِعُونَ لَهُ أَذِلَّاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ

(وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا)مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مِمَّنْ آمَنَ بِالْغَيْبِ فَقَيَّضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ أَنْ يَدْعُوا
لِلْمُؤْمِنِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَ لَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ سَجَايَا الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ،
كَانُوا يُؤَمِّنُونَ عَلَى دُعَاءِ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ:
2732-قال النبى ﷺ:-إِذَا دَعَا الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ:- آمِينَ وَ لَكَ بِمِثْلِهِ.

(رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا)فعلمك قد أحاط بكل شيء، لا يخفى عليك خافية، و لا يعزب عن علمك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، و لا أصغر من ذلك و لا أكبر، و رحمتك وسعت كل شيء فالكون علويه و سفليه قد امتلأ برحمة الله تعالى و وسعتهم و وصل إلى ما وصل إليه خلقه.

(فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ) من الشرك و المعاصي

(وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ) باتباع رسلك، بتوحيدك و طاعتك

(وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ)قهم العذاب نفسه، و قِهِم أسباب العذاب 7

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ
وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ
فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ
وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾
يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

(رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ)على ألسنة رسلك(وَمَن صَلَحَ)بالإيمان و العمل الصالح (مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ)زوجاتهم و أزواجهن و أصحابهم و رفقائهم(وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ)أولادهم (إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ)القاهر لكل شيء،فبعزتك تغفر ذنوبهم،و تكشف عنهم المحذور،و توصلهم بها إلى كل خير(ٱلْحَكِيمُ)الذي يضع الأشياء مواضعها 8

(وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ)الأعمال السيئة و جزاءها، لأنها تسوء صاحبها.(وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ)يوم القيامة (فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ)لأن رحمتك لم تزل مستمرة على العباد،لا يمنعها إلا ذنوب العباد و سيئاتهم، فمن وقيته السيئات وفقته للحسنات و جزائها الحسن(وَذَٰلِكَ)زوال المحذور بوقاية السيئات،و حصول المحبوب بحصول الرحمة(هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ)الذي لا فوز مثله 9

❍يخبر تعالى عن الفضيحة و الخزي الذي يصيب الكافرين، و سؤالهم الرجعة،و الخروج من النار، و امتناع ذلك عليهم و توبيخهم، فقال:–(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟)أطلقه ليشمل أنواع الكفر كلها، من :– الكفر بالله،أو بكتبه، أو برسله، أو باليوم الآخر، حين يدخلون النار، و يقرون أنهم مستحقونها، لما فعلوه من الذنوب و الأوزار، فيمقتون أنفسهم لذلك أشد المقت،و يغضبون عليها غاية الغضب،

(يُنَادَوْنَ)يناديهم خزنة جهنم:-(لَمَقْتُ ٱللَّهِ)لكم في الدنيا -حين طلب منكم الإيمان به و اتباع رسله،

فأبيتم(أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ)بغضكم (أَنفُسَكُمْ)الآن، بعد أن أدركتم أنكم تستحقون سخط الله و عذابه.

(إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ)﴿١٠﴾

و (قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ)يريدون الموتة الأولى و ما بين النفختين على ما قيل أو العدم المحض قبل إيجادهم،

ثم أماتهم بعدما أوجدهم،(وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ)الحياة الدنيا و الحياة الأخرى-هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-

{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الْبَقَرَة: 28]

(فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ)

فهل لنا من طريق نخرج به من النار،و تعيدنا به إلى الدنيا لنعمل بطاعتك؟

Oأي: تحسروا و قالوا ذلك، فلم يفد و لم ينجع،و وبخوا على عدم فعل أسباب النجاة 11

فقيل لهم:-(ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ)لتوحيده، و إخلاص العمل له، و نهي عن الشرك به

(كَفَرْتُمْ)به و اشمأزت لذلك قلوبكم و نفرتم غاية النفور

(وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ)و إن يُجْعل لله شريك تُصَدِّقوا به و تتبعوه.

(فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ)الذي له العـــلو المطلـــق من جميـــع الوجـوه:-

1-علو الـــذات2-و علو القـــدر3-و علو القهـــر

و مـن علو قـدره:-1-كمال عدله تعالى2-و أنه يضع الأشياء مواضعها، و لا يساوي بين المتقين و الفجار.

(ٱلْكَبِيرِ)الذي له الكبرياء و العظمة و المجد،فى:-أسمائه و صفاته و أفعاله المتنزه عن كل آفة و عيب 12

(فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ)و لما ذكر أنه يُرِي عباده آياته، نبه على آية عظيمة فقال:-

(وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ)مطرًا به ترزقون و تعيشون أنتم و بهائمكم

(وَمَا يَتَذَكَّرُ) بالآيات حين يذكر بها

(إِلَّا مَن يُنِيبُ) إلى الله تعالى، بـالإقبال على محبته و خشيته و طاعته و التضرع إليه،

فهذا الذي ينتفع بالآيات، و تصير رحمة في حقه، و يزداد بها بصيرة13

Oو لما كانت الآيات تثمر التذكر، و التذكر يوجب الإخلاص للّه،

رتب الأمر على ذلك بالفاء الدالة على السببية فقال: (فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ)

و هـــــذا شـــــامــــل لـــــ:-1-دعاء العبــــادة 2-و دعاء المســألة

و الإخـــــلاص معنــــــاه:–تخليص القصد للّه تعالى في جميع العبادات الواجبة و المستحبة،

(حقوق الله و حقوق عباده) أي: أخلصوا للّه تعالى في كل ما تدينونه به و تتقربون به إليه.

(وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ)لذلك، فلا تبالوا بهم، و لا يثنكم ذلك عن دينكم، و لا تأخذكم بالله لومة لائم،

فإن الكافرين يكرهون الإخلاص لله وحده غاية الكراهة14

ثم ذكر من جلاله و كماله ما يقتضي إخلاص العبادة له فقال:–(رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ)

و ارتفعت درجاته ارتفاعًا باين به مخلوقاته، و ارتفع به قدره،و جلت أوصافه، و تعالت ذاته،أن يتقرب إليه إلا بالعمل الزكي الطاهر المطهر،و هو الإخلاص،الذي يرفع درجات أصحابه و يقربهم إليه و يجعلهم فوق خلقه

(ذُو ٱلۡعَرۡشِ)

أي: العلي الأعلى، الذي استوى على العرش و اختص به،ثم ذكر نعمته على عباده بالرسالة و الوحي، فقال:–

(يُلۡقِي ٱلرُّوحَ)الوحي الذي للأرواح و القلوب بمنزلة الأرواح للأجساد

فكما أن الجسد بدون الروح لا يحيا و لا يعيش،فـــالروح و القلب بدون روح الوحي لا يصلح و لا يفلح،

فهو تعالى (يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ) الذي فيه نفع العباد و مصلحتهم

(عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ)و هم الرسل الذين فضلهم الله و اختصهم الله لوحيه و دعوة عباده.

و الفائدة فى إرســال الرســل، هـــو:–

1–تحصيل سعادة العباد في دينهم و دنياهم و آخرتهم2–و إزالة الشقاوة عنهم في دينهم و دنياهم و آخرتهم،

(لِيُنذِرَ)من ألقى الله إليه الوحي يخوف العباد بذلك،و يحثهم على الاستعداد له بالأسباب المنجية مما يكون فيه

(يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ)يلتقي فيه الخالق و المخلوق و المخلوقون بعضهم مع بعض و العاملون و أعمالهم و جزاؤه15

(يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ)ظاهرون على الأرض، قد اجتمعوا في صعيد واحد لا عوج و لا أمت فيه

(لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ)لا من ذواتهم و لا من أعمالهم، و لا من جزاء تلك الأعمال.

(لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ)من هو المالك لذلك (ٱلۡيَوۡمَ) ؟العظيم الجامع للأولين و الآخرين،

الملك (لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ)المنفرد في ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله،فلا شريك له في شيء منها بوجه من الوجوه.

(ٱلۡقَهَّارِ)لجميع المخلوقات، الذي دانت له المخلوقات و ذلت و خضعت خصوصًا في ذلك اليوم الذي عنت فيه الوجوه للحي القيوم، يومئذ لا تَكَلَّمُ نفس إلا بإذنه16

ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾
وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾
يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ
لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ
وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ
إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾

(ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ)في الدنيا، من خير و شر، قليل و كثير

(لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ)على أحد، بزيادة في سيئاته، أو نقص من حسناته

(إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ)لا تستبطئوا ذلك اليوم فإنه آت و كل آت قريب

و هو أيضا سريع المحاسبة لعباده يوم القيامة(يُحَاسِبُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ، كَمَا يُحَاسِبُ نَفْسًا وَاحِدَةً) 17

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ:-(وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ)يَوْمِ الْقِيَامَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاقْتِرَابِهَا

(إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ)

قد ارتفعت و بقيت أفئدتهم هواء،و وصلت القلوب من الروع و الكرب إلى الحناجر، شاخصة أبصارهم.

(كَٰظِمِينَۚ)سَاكِتِينَ–لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن و قال صوابا

(مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ)قريب و لا صاحب

(وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ)يشفع لهم عند ربهم، فيستجاب له.

لأن الشفعاء لا يشفعون في الظالم نفسه بالشرك،و لو قدرت شفاعتهم، فالله تعالى لا يرضى شفاعتهم، فلا يقبلها.بَلْ قَدْ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ 18

(يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ)و هو النظر الذي يخفيه العبد من جليسه و مقارنه، و هو نظر المسارقة،

(وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ)مما لم يبينه العبد لغيره، فالله تعالى يعلم ذلك الخفي19

فغيره من الأمور الظاهرة من باب أولي و أحرى.

(وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ)

بالعدل–لأن قـــــوله حق،و حكمه الشـــرعى حق،و حكمه الجـــزائى حق

(وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ)

و هذا شامل لكل ما عبد من دون الله [مِنَ الْأَصْنَامِ وَ الْأَوْثَانِ وَ الْأَنْدَادِ]

(لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ)

لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَ لَا يَحْكُمُونَ بِشَيْءٍ–لعجزهم و عدم إرادتهم للخير و استطاعتهم لفعله.

(إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ)لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات.

(ٱلۡبَصِيرُ)بما كان و ما يكون،و ما نبصر و ما لا نبصر، و ما يعلم العباد و ما لا يعلمون20

(أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ)بقلوبهم و أبدانهم سير نظر و اعتبار، و تفكر في الآثار

(فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ)من المكذبين، فسيجدونها شر العواقب،

عـــــاقبـــــــة:–الهـــــلاك و الدمـــــــار و الخــــزى و الفضيحــــــة

(كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً)و قد كانوا أشد قوة من هؤلاء في الْعَدَد و الْعُدَد و كبر الأجسام.

(و) أشد (وَءَاثَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ)

من البناء و الغرس، و قوة الآثار تدل على قوة المؤثر فيها و على تمنعه بها.

وَ مَعَ هَذِهِ الْقُوَّةِ الْعَظِيمَةِ وَ الْبَأْسِ الشَّدِيدِ :-

(فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ) بعقوبتـــــــــه(بِذُنُوبِهِمۡ)حين أصروا و استمروا عليها-و هِيَ كُفْرُهُمْ بِرُسُلِهِمْ

(وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ)وَ مَا دَفَعَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَحَدٌ، وَ لَا رَدَّهُ عَنْهُمْ رَادٌّ، وَ لَا وَقَاهُمْ وَاقٍ21

❍ثُمَّ ذَكَرَ عِلَّةَ أَخْذِهِ إِيَّاهُمْ وَ ذُنُوبَهُمُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا وَ اجْتَرَمُوهَا فَقَالَ:–

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ)مَعَ هَذَا الْبَيَانِ وَ الْبُرْهَانِ كَفَرُوا وَ جَحَدُوا

(فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ)أَهْلَكَهُمْ و دمّر عَلَيْهِمْ وَ لِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا

(إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ)عِقَابُهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ وَجِيعٌ. أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُ.

❍فلم تغن قوتهم عند قوة اللّه شيئًا، بل من أعظم الأمم قوة،قوم عاد الذين قـــالـــوا:–(مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)

أرسل اللّه إليهم ريحا أضعفت قواهم، و دمرتهم كل تدمير22

❍ثم ذكر نموذجا من أحوال المكذبين بالرسل و هو فرعون و جنوده فقال: –

(وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا)إلى جنس هؤلاء المكذبين (مُوسَىٰ) ابن عمران(بِـَٔايَٰتِنَا)العظيمة، الدالة دلالة قطعية،

على حقية ما أرسل به،و بطلان ما عليه من أرسل إليهم من الشرك و ما يتبعه

(وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ)

حجة بينة، تتسلط على القلوب فتذعن لها كالحية و العصا و نحوهما من الآيات البينات،

التي أيد الله بها موسى، و مكنه مما دعا إليه من الحق و المبعوث إليهم23

(إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ)مَلِكُ الْقِبْطِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ(وَهَٰمَٰنَ)وزيره(وَقَٰرُونَ)وَ كَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ مَالًا وَ تِجَارَةً

(فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ) كَذَّبُوهُ وَ جَعَلُوهُ سَاحِرًا مُمَخْرِقًا مُمَوِّهًا كَذَّابًا فِي أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ24

(فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا)و أيده الله بالمعجزات الباهرة، الموجبة لتمام الإذعان، لم يقابلوها بذلك،

و لم يكفهم مجرد الترك و الإعراض،بل و لا إنكارها و معارضتها بباطلهم،بل وصلت بهم الحال الشنيعة

إلى أن(قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ)

***وَ هَذَا أَمْرٌ ثَانٍ مِنْ فِرْعَوْنَ بِقَتْلِ ذُكُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

أَمَّــــــا الْأَوَّلُ:- فَكَانَ لِأَجْلِ الِاحْتِرَازِ مِنْ وُجُودِ مُوسَى،

الثَّــــــانِي:-أَوْ لِإِذْلَالِ هَذَا الشَّعْبِ وَ تَقْلِيلِ عَدَدِهِمْ، أَوْ لِمَجْمُوعِ الْأَمْرَيْنِ.

وَ أَمَّا الْأَمْــرُ الثَّانِي:-فَلِلْعِلَّةِ الثَّانِيَةِ، لِإِهَانَةِ هَذَا الشَّعْبِ،

وَ لِكَيْ يَتَشَاءَمُوا بِمُوسَى عليه السلام وَ لِهَذَا قَالُــــوا:-{أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}[الْأَعْرَافِ: 129]

(وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ)

الَّذِي هُوَ تَقْلِيلُ عَدَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِئَلَّا يُنصروا عَلَيْهِمْ

(إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ)

ذَاهِبٌ وَ هَالِكٌ حيث لم يتم لهم ما قصدوا، بل أصابهم ضد ما قصدوا، أهلكهم الله و أبادهم عن آخرهم25

وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
ٱلۡفَسَادَ ٢٦ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧
وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا
مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩
وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ
وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢
يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣

(وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ)متكبرًا متجبرًا مغررًا لقومه السفهاء:-(ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ)

زعم أنه لولا مراعاة خواطر قومه لقتله،و أنه لا يمنعه من دعاء ربه،

ثم ذكر الحامل له على إرادة قتله، و أنه نصح لقومه، و إزالة للشر في الأرض

فقال:-(إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ)الذي أنتم عليه(أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ)

و هذا من أعجب ما يكون، أن يكون شر الخلق ينصح الناس عن اتباع خير الخلق

هذا من التمويه و الترويج الذي لا يدخل إلا عقل من قال الله فيهم:-

(فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)26

(وَقَالَ مُوسَىٰٓ)حين قال فرعون تلك المقالة الشنيعة التي أوجبها له طغيانه،

و استعان فيها بقوته و اقتداره،مستعينًا بربه:-

(إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم)أيها المخاطبون أي:-امتنعت بربوبيته التي دبر بها جميع الأمور

(مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ)عن الحق مجرم(لَّا يُؤۡمِنُ)يحمله تكبره و عدم إيمانه

(بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ)على الشر و الفساد،يدخل فيه فرعون وغيره، كما تقدم قريبًا في القاعدة،

فمنعه الله تعالى بلطفه من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب 27

و قيض له من الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون و ملئه

و من جملة الأسباب:–هذا الرجل المؤمن، الذي من آل فرعون، من بيت المملكة، لا بد أن يكون له كلمة مسموعة–فَأَخَذَتِ الرَّجُلَ غَضْبَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ-فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، مقبحًا فعل قومه،و شناعة ما عزموا عليه:–

(أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا)كيف تستحلون قتله،(أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ)و لم يكن أيضا قولا مجردًا عن البينات،

و لهذا قال:–(وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ)لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهارًا علم به الصغير و الكبير،

ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل، بأي حالة قدرت–تَنزل مَعَهُمْ فِي الْمُخَاطَبَةِ

فمـــــوسى بيـــن أمـــــرين:–

الاول:–(وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ)إما كاذب في دعواه أو صادق فيها،

فإن كان كاذبًا فكذبه عليه، و ضرره مختص به و ليس عليكم في ذلك ضرر حيث امتنعتم من إجابته و تصديقه،

الثاني:–(وَإِن يَكُ صَادِقٗا) و قد جاءكم بالبينات(يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ)و هو عذاب الدنيا.

و هذا من حسن عقله، و لطف دفعه عن موسحيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم،

و جعل الأمر دائرًا بين تينك الحالتين،و على كل تقدير فقتله سفه و جهل منكم.

ثم انتقل رضي الله عنهو أرضاه و غفر له و رحمه – إلى أمر أعلى من ذلك،

و بيان قرب موسى من الحق فقال:–

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ)متجاوز الحد بترك الحق و الإقبال على الباطل.

(كَذَّابٞ)بنسبته ما أسرف فيه إلى الله، فهذا لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله و لا في دليله،

و لا يوفق للصراط المستقيم28

ثم حذر قومه و نصحهم، و خوفهم عذاب الآخرة، و نهاهم عن الاغترار بالملك الظاهر،فقال:–

(يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ)في الدنيا (ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ)على رعيتكم، تنفذون فيهم ما شئتم من التدبير،

فهبكم حصل لكم ذلك و تم، و لن يتم،(فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ)عـــــــذابه

(إِن جَآءَنَاۚ)؟ و هذا من حسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركًا بينه و بينهم بقوله:–

فــــــ(قَالَ فِرۡعَوۡنُ)معارضًا له في ذلك، و مغررًا لقومه أن يتبعوا موسى:

(مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ)مَا أَقُولُ لَكُمْ وَ أُشِيرُ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا أَرَاهُ لِنَفْسِي وَ قَدْ كَذَبَ فِرْعَوْنُ،

فَإِنَّهُ كَانَ يَتَحَقَّقُ صِدْقَ مُوسَى فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ - فإن هذا قلب للحق

(وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ)الْحَقِّ وَ الصِّدْقِ وَ الرُّشْدِ29

(وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ)مكررًا دعوة قومه غير آيس من هدايتهم، كما هي حالة الدعاة إلى الله تعالى،

لا يزالون يدعون إلى ربهم، و لا يردهم عن ذلك راد،و لا يثنيهم عتو من دعوه عن تكرار الدعوة

فقال لهم:–(يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ)يعني الأمم المكذبين الذين تحزبوا على أنبيائهم30

ثم بينهم فقال:–(مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ)

أي: مثل عادتهم في الكفر و التكذيب و عادة الله فيهم بالعقوبة العاجلة في الدنيا قبل الآخرة

(وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ)فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه، و لا جرم أسلفوه31

○و لما خوفهم العقوبات الدنيوية خوفهم العقوبات الأخروية فقال:–(وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ)

أي: يوم القيامة،

حين ينادي أهل الجنة أهل النار:–(أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا) [الاعراف:44]

و حين ينادي أهل النار:-(مالكًا لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ)فيقول:–(إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ)

و حين ينادون ربهم:-(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ)فيجيبهم:-(اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ)

و حين يُقال للمشركين:– (ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ)

فخوفهم رضي الله عنه هذا اليوم المهول، و توجع لهم أن أقاموا على شركهم بذلك32

و لهذا قال: (يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ)ذاهبين هاربين○أي:–قد ذهب بكم إلى النار

(مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ)من مانع يمنعكم و ناصر ينصركم من عذاب الله

(وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ)

لأن الهدى بيد الله تعالى،فإذا منع عبده الهدى لعلمه أنه غير لائق به، لخبثه، فلا سبيل إلى هدايته33

وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ
قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾
ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ
كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ
أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾
وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا
مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا
مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾

(وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ)بن يعقوب عليهما السلام(مِن قَبۡلُ)إتيان موسى(بِٱلۡبَيِّنَٰتِ)الدالة على صدقه،

و أمركم بعبادة ربكم وحده لا شريك له–فَمَا أَطَاعُوهُ تِلْكَ السَّاعَةَ إِلَّا لِمُجَرَّدِ الْوِزَارَةِ وَ الْجَاهِ الدُّنْيَوِيِّ

(فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ)في حياته

(حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ)*مات (ازداد شككم و شرككم)-يَئِسْتُمْ فَقُلْتُمْ طَامِعِينَ

(قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ)

أي: هذا ظنكم الباطل، و حسبانكم الذي لا يليق بالله تعالى،

فإنه تعالى لا يترك خلقه سدى، لا يأمرهم و ينهاهم،و يرسل إليهم رسله،و ظن أن الله لا يرسل رسولا ظن ضلال

و لهذا قال:–(كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ)

و هذا هو وصفهم الحقيقي الذي وصفوا به موسى ظلمًا و علوا،

فهم المسرفون بتجاوزهم الحق و عدولهم عنه إلى الضلال،و هم الكذبة، حيث نسبوا ذلك إلى الله،

و كذبوا رسوله فالذي وصفه السرف و الكذب، لا ينفك عنهما، لا يهديه الله، و لا يوفقه للخير،

لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه و عرفه،

فجزاؤه أن يعاقبه الله، بأن يمنعه الهدى(مُّرۡتَابٌ)ارتياب قلبه-شاكٍّ في وحدانية الله تعالى34

❍ثم ذكر وصف المسرف الكذاب فقال:-(ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ) التي بينت الحق من الباطل،

و صارت – من ظهورها– بمنزلة الشمس للبصر،فهم يجادلون فيها على وضوحها، ليدفعوها و يبطلوها

(بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ)بغير حجة و برهان،و هذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله

فإنه من المحال أن يجادل بسلطان،لأن الحق لا يعارضه معارض فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي

أصلا (كَبُرَ)ذلك القول المتضمن لرد الحق بالباطل

(مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ)

فالله أشد بغضًا لصاحبه، لأنه تضمن التكذيب بالحق و التصديق بالباطل و نسبته إليه،

و هذه أمور يشتد بغض الله لها و لمن اتصف بها و كذلك عباده المؤمنون يمقتون على ذلك أشد المقت

موافقة لربهم،و هؤلاء خواص خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه،

***وَ الْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا يُبغضُون مَنْ تَكُونُ هَذِهِ صِفَتَهُ فَإِنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ،

(كَذَٰلِكَ)كما طبع على قلوب آل فرعون

(يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ)يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ،فَلَا يَعْرِفُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعْرُوفًا، وَ لَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا

(مُتَكَبِّرٍ)في نفسه على الحق برده و على الخلق باحتقارهم،

(جَبَّارٍ)بكثرة ظلمه و عدوانه35

(وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ)معارضًا لموسى و مكذبًا له في دعوته إلى الإقرار برب العالمين الذي على العرش استوى و على

الخلق اعتلى:–(يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا)

بناء عظيمًا مرتفعًا-الْقَصْرُ الْعَالِي الْمُنِيفُ الشَّاهِقُ.وَ كَانَ اتِّخَاذُهُ مِنَ الْآجُرِّ الْمَضْرُوبِ مِنَ الطِّينِ الْمَشْوِيِّ

كَمَا قال:-{فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا}[الْقَصَصِ: 38]

(لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ)أَبْوَابَ السموات-و قيل:-طرق السَّمَوَاتِ

(فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا)فى دعواه أن لنا ربًا، و أنه فوق السماوات.

و لكنه يريد أن يحتاط فرعون، و يختبر الأمر بنفسه،قال الله تعالى في بيان الذي حمله على هذا القول:–

(وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ)

فزين له العمل السيئ، فلم يزل الشيطان يزينه و هو يدعو إليه و يحسنه،حتى رآه حسنًا و دعا إليه و ناظر

مناظرة المحقين،و هو من أعظم المفسدين،(وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ)الحق، بسبب الباطل الذي زين له

(وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ)الذي أراد أن يكيد به الحق، و يوهم به الناس أنه محق، و أن موسى مبطل

(إِلَّا فِى تَبَابٍ)أي: خسار و بوار، لا يفيده إلا الشقاء في الدنيا و الآخرة37

(وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ)معيدًا نصيحته لقومه:-

(يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ)لا كما يقول لكم فرعون فإنه لا يهديكم إلا طريق الغي و الفساد38

(يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ)

يتمتع بها و يتنعم قليلا ثم تنقطع و تضمحل،فلا تغرنكم و تخدعنكم عما خلقتم له

(وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ)

التي هي محل الإقامة و منزل السكون و الاستقرار فينبغي لكم أن تؤثروها، و تعملوا لها عملا يسعدكم فيها39

(مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً)من شرك أو فسوق أو عصيان

(فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا)لا يجازى إلا بما يسوؤه و يحزنه لأن جزاء السيئة السوء.

(وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ)من أعمال القلوب و الجوارح، و أقوال اللسان

(وَهُوَ مُؤْمِنٌ)بالله موحد له(فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)

أي: يعطون أجرهم بلا حد و لا عد، بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم40

۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ
وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٞ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ
لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٞ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾
فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾
فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّٗا
وَعَشِيّٗاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ
فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعٗا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا
نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمٗا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

(وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ) بما قلت لكم (وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ)بترك اتباع نبي الله موسى عليه السلام 41

ثم فسر ذلك فقال:(تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٞ) أنه يستحق أن يعبد من دون الله، و القول على الله بلا علم من أكبر الذنوب و أقبحها،

(وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ)الذي له القوة كلها، و غيره ليس بيده من الأمر شيء

(ٱلْغَفَّٰرِ)الذي يسرف العباد على أنفسهم و يتجرؤون على مساخطه ثم إذا تابوا و أنابوا إليه، كفر عنهم السيئات و الذنوب، و دفع موجباتها من العقوبات الدنيوية و الأخروية 42

(لَا جَرَمَ)أي:–حقًا يقينًا(أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ)أن ما تدعونني إلى الاعتقاد به

(لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٞ)لا يستحق من الدعوة إليه، و الحث على اللجأ إليه،

(فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ)لعجزه و نقصه،و أنه لا يملك نفعًا و لا ضرًا و لا موتًا و لا حياة، و لا نشورًا.

(وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ) تعالى فسيجازي كل عامل بعمله.(وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ)

و هـم الذيـن أسرفـوا على أنفسهـم بـ:–

1–التجــرؤ على ربهم بمعاصيه

2–و الكفـــر به، دون غيرهم.

(هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ)43

فلما نصحهم و حذَّرهم و أنذرهم و لم يطيعوه و لا وافقوه قال لهم:(فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ)
من هذه النصيحة، و سترون مغبة عدم قبولها حين يحل بكم العقاب، و تحرمون جزيل الثواب.

(وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ)ألجأ إليه و أعتصم، و ألقي أموري كلها لديه،
و أتوكل عليه في مصالحي و دفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم.

(إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ)
يعلم أحوالهم و ما يستحقون،يعلم حالي و ضعفي فيمنعني منكم و يكفيني شركم،
و يعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته و مشيئته فإن سلطكم عليّ،
فبحكمة منه تعالى، و عن إرادته و مشيئته صدر ذلك44

(فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ)وقى الله القويّ الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق،
عقوبات ما مكر فرعون و آل له، مـــن :–إرادة إهلاكـــــه و إتلافـــــه،
لأنه بادأهم بما يكرهون، و أظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه السلام و دعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى،

(وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ)أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم45

و في البـــــرزخ :–(ٱلنَّارُ)ثم يُعذَّبون في قبورهم حيث النار(يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا)صباحًا

(وَعَشِيّٗاۚ)و مساء إلى وقت الحساب (وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ)يقال: أدخلوا آل فرعون

(أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ)النار-جزاء ما اقترفوه من أعمال السوء و هذه الآية أصل في إثبات عذاب القبر46

❍فهذه العقوبات الشنيعة، التي تحل بالمكذبين لرسل الله، المعاندين لأمره.
يخبر تعالى عن تخاصم أهل النار،و عتاب بعضهم بعضًا و استغاثتهم بخزنة النار، و عدم الفائدة في ذلك

فقال:–(وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ)يحتج التابعون بإغواء المتبوعين، و يتبرأ المتبوعون من التابعين

(فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ)الأتباع للقادة (لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ)على الحق، و دعوهم إلى ما استكبروا لأجله.

(إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا)أنتم أغويتمونا و أضللتمونا و زينتم لنا الشرك و الشر

(فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ)و لو قليلا

(قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ)مبينين لعجزهم و نفوذ الحكم الإلهي في الجميع:–

(إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ) لا نتحمل عنكم شيئًا من عذاب النار، و كلُّنا فيها، لا خلاصَ لنا منها،

(إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ)

و جعل لكل قسطه من العذاب،فلا يزاد في ذلك و لا ينقص منه، و لا يغير ما حكم به الحكيم.

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ) من المستكبرين و الضعفاء

(لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمًا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ)لعله تحصل بعض الراحة.

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾
يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ
وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ
فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

فـــــــــ(قَالُوٓاْ)لهم موبخين و مبينين أن شفاعتهم لا تنفعهم، و دعاءهم لا يفيدهم شيئًا:-

(أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ)التي تبينتم بها الحق و الصراط المستقيم، و ما يقرب من الله و ما يبعد منه؟ قد جاءونا بالبينات، و قامت علينا حجة الله البالغة فظلمنا و عاندنا الحق بعد ما تبين.

(قَالُواْ)أي: الخزنة لأهل النار، متبرئين من الدعاء لهم و الشفاعة:-

(فَٱدۡعُواْۗ)أنتم و لكن هذا الدعاء هل يغني شيئا أم لا؟

(وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ)

أي: باطل لاغ، لأن الكفر محبط لجميع الأعمال صادّ لإجابة الدعاء-لَا يُتَقَبَّلُ وَ لَا يستجاب50

لما ذكر عقوبة آل فرعون في الدنيا، و البرزخ، و يوم القيامة،و ذكر حالة أهل النار الفظيعة، الذين نابذوا رسله و حاربوهم، قال:-

(إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)

بالحجة و البرهان و النصر، في الآخرة بالحكم لهم و لأتباعهم بالثواب،

و لمن حاربهم بشدة العقاب

***قَدْ أَوْرَدَ بْنُ جرِيرٍ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى:-{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} سُؤَالًا فَقَالَ: -
قَدْ عُلِم أَنَّ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ،قَتَلَهُ قَوْمُهُ بِالْكُلِّيَّةِ كَيَحْيَى وَ زَكَرِيَّا وَ شَعْيَاءَ،
وَ مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ إِمَّا مُهَاجِرًا كَإِبْرَاهِيمَ وَ إِمَّا إِلَى السَّمَاءِ كَعِيسَى فَأَيْنَ النُّصْرَةُ فِي الدُّنْيَا؟

ثُمَّ أَجَابَ عَنْ ذَلِكَ بِجَوَابَيْــــنِ :-
أَحَدُهُمَا:-أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ خَرَجَ عَامًّا، وَ الْمُرَادُ بِهِ الْبَعْضُ،قَالَ: وَ هَذَا سَائِغٌ فِي اللُّغَةِ.
الثَّانِي:-أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالنَّصْرِ الِانْتِصَارُ لَهُمْ مِمَّنْ آذَاهُمْ،وَ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِحَضْرَتِهِمْ أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ

(وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ)الْمَلَائِكَةُ-أو-يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَكُونُ النُّصْرَةُ أَعْظَمَ وَ أَكْبَرَ وَ أَجَلَّ 51

(يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ)و هم المشركون(مَعْذِرَتُهُمْ)حين يعتذرون-لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ عُذْرٌ وَ لَا فِدْيَةٌ

(وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ)السيئة التي تسوء نازليها–هى النَّارُ- بِئْسَ الْمَنْزِلُ وَ الْمَقِيلُ-سُوءُ الْعَاقِبَةِ52

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى)لما ذكر ما جرى لموسى و فرعون، و ما آل إليه أمر فرعون و جنوده

ثم ذكر الحكم العام الشامل له و لأهل النار،ذكر أنه أعطى موسى(ٱلْهُدَىٰ)الآيات، و العلم الذي يهتدي به.

(وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ)أي: جعلناه متوارثًا بينهم، من قرن إلى آخر، و هو التوراة53

و ذلك الكتاب مشتمل على الهـــ(هُدًى):–هو العلـــم بالأحكـــام الشرعيـــة و غيرها،

(وَذِكْرَىٰ) أى:التذكر للخير بالترغيب فيه، و عن الشر بالترهيب عنه،و ليس ذلك لكل أحد،

و إنما هو (لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ)الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ السَّلِيمَةُ54

(فَٱصْبِرْ) يا أيها الرسول كما صبر من قبلك من أولي العزم المرسلين.

(إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ)أي: ليس مشكوكًا فيه، أو فيه ريب أو كذب، حتى يعسر عليك الصبر،
و إنما هو الحق المحض، و الهدى الصرف، الذي يصبر عليه الصابرون،و يجتهد في التمسك به أهل البصائر.
***وَعَدْنَاكَ أَنَّا سَنُعْلِي كَلِمَتَكَ، وَ نَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لَكَ وَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ،
وَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ. وَ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ بِهِ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَ لَا شَكَّ.

فقوله:–(إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ)من الأسباب التي تحث على الصبر على طاعة الله و عن ما يكره الله.

(وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ) المـــــانع لك من تحصيل فوزك و سعادتك،

فـــأمره بــــ:–1–الصبــر الذي فيه يحصل المحبوب،2–و بالاستغفـار الذي فيه دفع المحـــذور

(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) و بالتسبيح بحمد الله تعالى خصوصًا

(بِٱلْعَشِىِّ)فِي أَوَاخِرِ النَّهَارِ وَ أَوَائِلِ اللَّيْلِ(وَٱلْإِبْكَـٰرِ)وَ هِيَ أَوَائِلُ النَّهَارِ وَ أَوَاخِرُ اللَّيْلِ.اللذين هما أفضل الأوقات،و فيهما من الأوراد و الوظائف الواجبة و المستحبة ما فيهما لأن في ذلك عونًا على جميع الأمور55

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ)يخبر تعالى أن من جادل في آياته ليبطلها بالباطل،

(بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ)بينة من أمره و لا حجة

(أَتَىٰهُمۡۖ إِن)مَا(فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٌ)عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَ احْتِقَارٌ لِمَنْ جَاءَهُمْ بِهِ،

إن هذا صادر من كبر في صدورهم على الحق و على من جاء به،

يريدون الاستعلاء عليه بما معهم من الباطل،فهذا قصدهم و مرادهم. و لكن هذا لا يتم لهم

(مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ)و ليسوا ببالغيه،

فهذا نص صريح، و بشارة، بأن كل من جادل الحق أنه مغلوب،و كل من تكبر عليه فهو في نهايته ذليل.

(فَٱسۡتَعِذۡ) أي: اعتصـــــم و الجــــأ(بِٱللَّهِ) و لم يذكر ما يستعيذ، إرادة للعموم

أي:–استعــذ بالله مــــن:–الكبــــر الذي يوجب التكبر على الحق

و استعـــذ بالله مــــن:–شياطين الإنس و الجن، و استعــذ بالله مــــن:–جميـــع الشـــــرور.

(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ)لجميع الأصوات على اختلافها

(ٱلۡبَصِيرُ)بجميع المرئيات، بأي محل و موضع و زمان كانت56

يخبر تعالى بما تقرر في العقول (لَخَلۡقُ) أن خلق(ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)على عظمهما و سعتهما– أعظم

و (أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ) فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات و الأرض من أصغر ما يكون

فالذي خلق الأجرام العظيمة و أتقنها، قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى و أحرى.

(وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ)و لذلك لا يعتبرون بذلك، و لا يجعلونه منهم على بـــــال57

(وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ) أي: كما لا يستوي الأعمى و البصير

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)كذلك لا يستوي من آمن بالله و عمل الصالحات

(وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ)و كذلك لا يستوى من كان مستكبرًا على عبادة ربه، مقدمًا على معاصيه، ساعيًا في مساخطه،

(قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ)تذكركـــــــم قليـــــل

و إلا فلو تذكرتم مراتب الأمور،و منــــازل الخيــــر و الشــــر

و الفرق بين الأبـــــرار و الفجـــار و كانـــت لكـــم همــــة عليه

لآثــــرتــــم:–النــــافع على الضــــار، و الهـــدى على الضــــلال،

و السعادة الدائمة على الدنيا الفانية58

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ
أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ
لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾
كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا
وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ
فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

(إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ)لكائنة واقعة (لَّا رَيۡبَ فِيهَا)قد أخبرت بها الرسل الذين هم أصدق الخلق و نطقت بها الكتب السماوية، التي جميع أخبارها أعلى مراتب الصدق، و قامت عليها الشواهد المرئية، و الآيات الأفقية.

(وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ) لا يصدقون بها بـــل يكذبون بها59

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ)هذا من لطفه بعباده، و نعمته العظيمة،حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم و دنياهم،و أمـــرهـــم بدعـــائه–1–دعاء العبـــادة2–و دعاء المســـألة
و وعدهم أن يستجيب لهم، و توعد من استكبر عنها فقال:–

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)ذليلين حقيرين،

***هَذَا مِنْ فَضْلِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَ كَرَمِهِ أَنَّهُ نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ وَ تَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ،
كَمَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ:-يَا مَنْ أحبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤَالَهُ
وَ يَا مَنْ أَبْغَضُ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَ لَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُكَ يَا رَبِّ.

❍سنن أبي داود479 -عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ
{قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: 60]

*** مسند أحمد ط الرسالة 6677 عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:-
يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُوَرِ النَّاسِ،يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ،
حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ،

يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ60

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ)لأجلكم جعل الله الليل مظلمًا،(لِتَسْكُنُواْ فِيهِ)من حركاتكم، التي لو استمرت لضرت، فتأوون إلى فرشكم، و يلقي الله عليكم النوم الذي يستريح به القلب و البدن،

و هو من ضروريات الآدمي لا يعيش بدونه، و يسكن أيضًا، كل حبيب إلى حبيبه، و يجتمع الفكر، و تقل الشواغل.

(و) جعل تعالى (وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ)مضيئا–منيرًا بالشمس المستمرة في الفلك،

(إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ)عظيم، كما يدل عليه التنكير(عَلَى ٱلنَّاسِ)حيث أنعم عليهم بهذه النعم و غيرها، و صرف عنهم النقم،و هذا يوجب عليهم، تمام شكره و ذكره

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)بسبب جهلهم و ظلمهم.(وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) الــــــذين :–

1–يقـــــــرون بنعمة ربهم2–و يخضعـــــون للّه3–و يحبـــــــونه4–و يصرفونهـــــا في طاعة مولاهم 61

(ذَٰلِكُمُ)الذي فعل ما فعل(ٱللَّهُ رَبُّكُمْ)المنفرد بالإلهية، و المنفرد بالربوبية،

لأن انفراده بهذه النعم، من ربوبيته، و إيجابها للشكر، من ألوهيته،

(لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ)تقرير أنه المستحق للعبادة وحده، لا شريك له،

(خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ)تقرير لربوبيته.ثم صرح بالأمر بعبادته فقال: –

(فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ)كيف تصرفون عن عبادته، وحده لا شريك له، بعد ما أبان لكم الدليل،و أنار لكم السبيل؟ 62

(كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ)أي: عقوبـــــــة على:–

1–جحدهم لآيات الله2–و تعديهم على رسله،

صُرِفُـــــوا عن التوحيـــــــد و الإخـــــــلاص، كما قال تعالى:–

(وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)

***كَمَا ضَلَّ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، كَذَلِكَ أُفِكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ،فَعَبَدُوا غَيْرَهُ بِلَا دَلِيلٍ وَ لَا بُرْهَانٍ بَلْ بِمُجَرَّدِ الْجَهْلِ وَ الْهَوَى،وَ جَحَدُوا حُجَجَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ. 63

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا)قارة ساكنة، مهيأة لكل مصالحكم، تتمكنون من حرثها و غرسها و البناء عليها، و السفر، و الإقامة فيها.

(وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً) سقفًا للأرض، التى أنتم فيها،قد جعل الله فيها ما تنتفعون به من الأنوار و العلامات،

التي يهتدى بها في ظلمات البر و البحر

(وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ)فَخَلَقَكُمْ فِي أَحْسَنِ الْأَشْكَالِ،وَ مَنَحَكُمْ أَكْمَلَ الصُّوَرِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ،

فليس في جنس الحيوانات،أحسن صورة من بني آدم كقوله:-(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

و إذا أردت أن تعرف حسن الآدمي و كمال حكمة الله تعالى فيه، فانظر إليه، عضوًا عضوًا،

هل تجد عضوًا من أعضائه، يليق به،و يصلح أن يكون في غير محله؟

(وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ)

و هــــذا شـــامل لكــــل طيـــب مــــن-

مأكل، و مشرب، و منكح، و ملبس، و منظر، و مسمع، و غير ذلك من الطيبات التي يسرها الله لعباده،

و يسر لهم أسبابها،و منعهم من الخبائث، التي تضادها، و تضر أبدانهم، و قلوبهم، و أديانهم،

(ذَٰلِكُمُ) الذي دبر الأمور، و أنعم عليكم بهذه النعم (ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ)

أي: تعاظم، و كثر خيره و إحسانه(رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ)المربي جميع العالمين بنعمه.64

(هُوَ ٱلْحَيُّ) الذي له الحياة الكاملة التامة،المستلزمة لما تستلزمه من صفاته الذاتية التي لا تتم حياته إلا بها،

كـــ:-السمع، و البصر، و القدرة، و العلم، و الكلام و غير ذلك مــــن:-صفـــات كماله و نعــوت جلاله.

(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)لا معبــــــود بحـــــق، إلا وجهه الكريم-لَا نَظِيرَ لَهُ وَ لَا عَدِيلَ لَهُ،

(فَٱدْعُوهُ)و هـــــذا شـــــامل لـــــــ:-1-دعاء العبـــــادة2-و دعاء المســــألة

(مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ)اقصدوا بكل عبادة و دعاء و عمل، وجه الله تعالى،

فإن الإخلاص، هو المأمور به كما قال تعالى:-(وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ)

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)جميع المحامد و المدائح و الثناء،بالقـــــول :-كــــــنطق الخلق بذكـــــــره،

و الفعـــــــل:-كــــعبادتهم لــــــه،كـــل ذلك للّه تعالى وحـــــده لا شريك له لـــــ:-

كماله في أوصـــــــافه و أفعـــــاله، و تمـــــام نعمه65

(قُلْ) يا أيها النبي(إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ)

من الأوثان و الأصنام، و كل ما عبد من دون الله. و لست على شك من أمري، بل على يقين و بصيرة،

و لهذا قال:-(لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)

بقلبي و لساني، و جوارحي، بحيث تكون منقادة لطاعته، مستسلمة لأمره،و هذا أعظم مأمور به، على الإطلاق،

كما أن النهي عن عبادة ما سواه، أعظم مَنْهِيٍّ عنه، على الإطلاق66

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ
ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾
هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾
إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾
ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ
كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾
ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ
فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

ثم قرر هذا التوحيد، بأنه الخالق لكم و المطور لخلقتكم فكما خلقكم وحده،فاعبدوه وحده فقال:-

(هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ)و ذلك بخلقه لأصلكم و أبيكم آدم ﷺ

(ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ)و هذا ابتداء خلق سائر النوع الإنساني، ما دام في بطن أمه، فنبه بالابتداء، على بقية الأطوار

(ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ)من العلقة، فالمضغة، فالعظام، فنفخ الروح(ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا)

ثم هكذا تنتقلون في الخلقة الإلهية حتى تبلغوا أشدكم من قوة العقل و البدن، و جميع قواه الظاهرة و الباطنة

(ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ)بلوغ الأشد

(وَلِتَبْلُغُوٓا۟)بهذه الأطوار المقدرة (أَجَلًا مُّسَمًّى)تنتهي عنده أعماركم(وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)أحوالكم،

فتعلمون أن المطور لكم في هذه الأطوار كامل الاقتدار،و أنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له، و أنكم ناقصون من كل وجه67

(هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ)هو المنفرد بالإحياء و الإماتة فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب، إلا بإذنه.

(فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا)جليلا أو حقيرًا(فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)لا رد في ذلك، و لا مثنوية، و لا تمنع68

(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ)الواضحة البينة متعجبًا من حالهم الشنيعة

(أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ)كيف ينعدلون عنها؟

و إلى أي شيء يذهبون بعد البيان التام؟

هل يجدون آيات بينات تعارض آيات الله؟

لا و الله أم يجدون شبهًا توافق أهواءهم، و يصولون بها لأجل باطلهم؟69

(ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ)من الهدى و البينات

فبئس ما استبدلوا و اختاروا لأنفسهم، بتكذيبهم بالكتاب،الذي جاءهم من الله، وبما أرسل الله به رسله، الذين هم خير الخلق و أصدقهم، و أعظمهم عقولا فهؤلاء لا جزاء لهم سوى النار الحامية،

و لهذا توعدهم الله بعذابها فقال:–(فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ)كقوله{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}[الْمُرْسَلَات: 15]70

(إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ)التي لا يستطيعون معها حركة

(وَٱلسَّلَٰسِلُ)التي يقرنون بها هم و شياطينهم-مُتَّصِلَةٌ بِالْأَغْلَالِ بِأَيْدِي الزَّبَانِيَةِ

(يُسۡحَبُونَ)يَسْحَبُونَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ71

(فِي ٱلۡحَمِيمِ)الماء الذي اشتد غليانه و حره–تَارَةً إِلَى الْحَمِيمِ

(ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ)تَارَةً إِلَى الْجَحِيمِ–يوقد عليهم اللهب العظيم72

(ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ)هل نفعوكم، أو دفعوا عنكم بعض العذاب؟

(قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا)غابوا و لم يحضروا، و لو حضروا، لم ينفعوا،ثم إنهم أنكروا فقالوا:–

(بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ)يحتمـــــــل أن مرادهـــــــم بــــــذلك:–

الإنكـــــــار، و ظنوا أنه ينفعهم و يفيدهم،

و يحتمل – و هو الأظهر– أن مرادهم بذلك:–

الإقـــــــرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون،و أنه ليس للّه شريك في الحقيقة

و إنما هم ضالون مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية

و يدل على هذا قوله تعالى:–(كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ)

أي: كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال الواضح لكل أحد، حتى إنهم بأنفسهم، يقرون ببطلانه يوم القيامة74

و يقال لأهل النار (ذَٰلِكُم)العذاب، الذي نوع عليكم

(بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ)بما تقترفونه من المعاصي و الآثام(بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ)

بـــــــــــــــ:ـ

1-البـــــــاطل الذي أنتم عليه2-و بالعلـــــوم التي خالفتم بها علوم الرسل

(وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ)على عباد الله، بغيًا و عدوانًا، و ظلمًا، و عصيانًا و أشَرا و بَطَرا75

(ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ)كل بطبقة من طبقاتها، على قدر عمله(خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ)لا يخرجون منها أبدًا

(فَبِئْسَ)فبئست جهنم (مَثْوَى)نزلا -يخزون فيه،و يهانون،و يحبسون

و يعذبون و يترددون بين حرها و زمهريرها (ٱلْمُتَكَبِّرِينَ)في الدنيا على الله76

(فَٱصْبِرْ)يا أيها الرسول، على دعوة قومك، و ما ينالك منهم، من أذى،و استعن على صبرك بإيمانك

(إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ)سينصر دينه و يُعْلِي كلمته، و ينصر رسله في الدنيا و الآخرة، و استعن على ذلك أيضًا، بتوقع العقوبة بأعدائك في الدنيا و الآخرة،

و لهذا قال:-(فَـإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ)

في الدنيا فذاك -وَ كَذَلِكَ وَقَعَ فَإِنَّ اللَّهَ أَقَرَّ أَعْيُنَهُمْ مِنْ كُبَرَائِهِمْ وَ عُظَمَائِهِمْ، أُبِيدُوا فِي يَوْمِ بَدْرٍ.
ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَ سَائِرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ ﷺ

(أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ)قبل عقوبتهم (فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) فنجازيهم بأعمالهم77

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ
وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ
ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٩﴾
وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾
وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ
﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾
فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

(وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ)كثيرين إلى قومهم، يدعونهم و يصبرون على أذاهم.

(مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ)خبرهم(وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ)وَ هُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ ذكر بِأَضْعَافِ أَضْعَافٍ،

(وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ)و كل الرسل مدبرون، ليس بيدهم شيء من الأمر.و ما كان لأحد منهم (أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ)
من الآيات السمعية و العقلية-وَ لَمْ يَكُنْ لِوَاحِدٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمَهُ بِخَارِقٍ لِلْعَادَاتِ،
إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ،

(إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ)بمشيئته و أمره فاقتـــــــراح المقترحيـــــــن على الرســـــــل الإتيان بالآيـــــــات-

1-ظلـــــــم منهم 2-و تعنـــــــت3-و تكـــــــذيب

بعد أن أيدهم اللّه بالآيات الدالة على صدقهم و صحة ما جاءوا به.

(فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ)بالفصل بين الرسل و أعدائهم، و الفتح.وَ هُوَ عَذَابُهُ وَ نَكَالُهُ الْمُحِيطُ بِالْمُكَذِّبِينَ

(قُضِيَ) بينهم(بِٱلۡحَقِّ)الذي يقع الموقع،و يوافق الصواب بإنجاء الرسل و أتباعهم و إهلاك المكذبين و لهذا

قال:-(وَخَسِرَ هُنَالِكَ) أي: وقت القضاء المذكور(ٱلۡمُبۡطِلُونَ) الذين وصفهم الباطل، و ما جاءوا به من
العلم و العمل، باطل،و غايتهم المقصودة لهم، باطلة، فَلْيَحْذَر هؤلاء المخاطبون، أن يستمروا على باطلهم،
فيخسروا، كما خسر أولئك،فإن هؤلاء لا خير منهم، و لا لهم براءة في الكتب بالنجاة78

(ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ)وَ هِيَ الْإِبِلُ وَ الْبَقَرُ وَ الْغَنَمُ

فَالْإِبِلُ:-
تُرْكَبُ وَ تُؤْ كَلُ وَ تُحْلَبُ، وَ يُحْمَلُ عَلَيْهَا الْأَثْقَالُ فِي الْأَسْفَارِ وَ الرِّحَالِ إِلَى الْبِلَادِ النَّائِيَةِ، وَ الْأَقْطَارِ الشَّاسِعَةِ.
وَ الْبَقَرُ:-تُؤْ كَلُ، وَ يُشْرَبُ لَبَنُهَا، وَ تُحْرَثُ عَلَيْهَا الْأَرْضُ.
وَ الْغَنَمُ:-تُؤْ كَلُ، وَ يُشْرَبُ لَبَنُهَا،
وَ الْجَمِيعُ تُجَزُّ أَصْوَافُهَا وَ أَشْعَارُهَا وَ أَوْبَارُهَا فَيُتَّخَذُ مِنْهَا الْأَثَاثُ وَ الثِّيَابُ وَ الْأَمْتِعَةُ

يمتن تعالى على عباده، بما جعل لهم من الأنعام، التي بها، جملة من الإنعام:-

1-(لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا)منافع الركوب عليها و الحمل2-(وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)منافع الأكل من لحومها و الشرب من ألبانها3-منافع الدفء و اتخاذ الآلات و الأمتعة من أصوافها و أوبارها و أشعارها إلى غير ذلك 79

(وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ)4-(وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ)
من الوصول إلى الأوطان البعيدة، و حصول السرور بها، و الفرح عند أهلها.

(وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ)على الرواحل البرية، و الفلك البحرية، يحملكم الله الذي سخرها، و هيأ لها ما هيأ، من الأسباب، التي لا تتم إلا بها.80

(وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ)الدالة على وحدانيته، و أسمائه، و صفاتهو هذا من أكبر نعمه، حيث أشهد عباده، آياته النفسية، و آياته الأفقية، و نعمه الباهرة، و عدَّدَها عليهم، ليعرفوه، و يشكروه، و يذكروه.

(فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ)أى آية من آياته لا تعترفون بها؟81

(أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ)
يحث تعالى المكذبين لرسولهم،على السير في الأرض، بأبدانهم، و قلوبهم

(فَيَنظُرُواْ)نظر فكر و استدلال، لا نظر غفلة و إهمال.

(كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ)من الأمم السالفة، كعاد، و ثمود و غيرهم

(كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً)ممن كانوا أعظم منهم قوة و أكثر أموالا و أشد

(وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ)من الأبنية الحصينة، و الغراس الأنيقة، و الزروع الكثيرة

(فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)
حين جاءهم أمر الله، فلم تغن عنهم قوتهم، و لا افتدوا بأموالهم و لا تحصنوا بحصونهم82

ثم ذكر جرمهم الكبير فقال:-(فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ)

مـــــــــن:-

1-الكتـــب الإلهية2-و الخـوارق العظيمة3-و العلم النافع المبين للهدي من الضلال، و الحق من الباطل

(فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ)المناقض لدين الرسل

و مـــــن المعلـــــوم، أن فرحهـــــم به يدل علىَ:-

1-شـــــدة رضاهم به2-و تمسكهـــــم3-و معـــــاداة الحق، الذي جاءت به الرسل،

و جعل باطلهم حقًا،و هذا عام لجميع العلوم، التي نوقض بها، ما جاءت به الرسل،

و مـــــن أحقهـــــا بالدخـــــول في هذا:-

1-علوم الفلسفة2-و المنطق اليوناني الـــــذى:-

1-رُدَّت به كثير من آيات القرآن2-و نقصت قدره في القلوب3-و جعلت أدلته اليقينية القاطعة، أدلة لفظية

(لا تفيد شيئًا من اليقين،و يقدم عليها عقول أهل السفه و الباطل)

و هذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، و المعارضة لها،و المناقضة، فالله المستعان.

(وَحَاقَ بِهِم)نزل(مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ)من العذاب(فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا)عذابنا، أقروا حيث لا ينفعهم الإقرار

(قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ)من الأصنام و الأوثان، و تبرأنا من كل ما خالف

الرسل، من علم أو عمل-وَحَّدُوا اللَّهَ وَ كَفَرُوا بِالطَّاغُوتِ وَ لَكِنْ حَيْثُ لَا تُقَال الْعَثَرَاتُ، وَ لَا تَنْفَعُ الْمَعْذِرَةُ 83

(فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ)في تلك الحال و هذه (سُنَّتَ ٱللَّهِ)و عادته(ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ)مضت

(فِي عِبَادِهِۦۖ)أن المكذبين حين ينزل بهم بأس الله و عقابه إذا آمنوا كان إيمانهم غير صحيح، و لا منجيًا لهم

من العذاب، و ذلك لأنه إيمان ضرورة:-قد اضطروا إليه، و إيمان مشاهدة،

و إنما الإيمان النافع الذي ينجي صاحبه، هو الإيمان الاختياري:-

الذي يكون إيمانًا بالغيب، و ذلك قبل وجود قرائن العذاب-

هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي جَمِيعِ مَنْ تَابَ عِنْدَ مُعَايَنَةِ الْعَذَابِ:-أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ

(وَخَسِرَ هُنَالِكَ)وقت الإهلاك، و إذاقة البأس

(ٱلۡكَٰفِرُونَ)دينهم و دنياهم و أخراهم،

و لا يكفي مجرد الخسارة، في تلك الدار

بل لا بد من خسران يشقي في العذاب الشديد و الخلود فيه دائما أبدًا 85